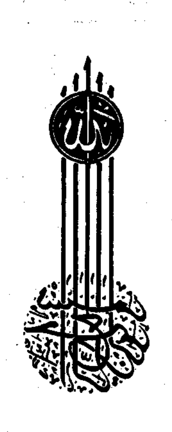
الإباضية

الطبعة الأولى
١٤١٢هـ

صدر الإذن بطبع هذا الكتاب من
المديرية العامة للمطبوعات بوزارة الإعلام ــ تبوك
برقم ٤٨٢/م/ت تاريخ ١٣/ ٨ / ١٤١٢ هـ

الإباضية



الاباضيــــة.. وهل هم خوارج؟

أ ـ لماذا الإباضية؟

لعل القاريء يقول لماذا الحديث عن الإباضية؟ وهي فرقة ذات أقلية مبعثــرة في بعض بلاد المسلمـين كعُـمان وشـمال أفـريقيا وزنجبار، كما أنها أقل خطراً وشراً من الفرق الأخرى كطوائف الباطنية والرافضة ونحوهم. فأقول ابتداء: لا شك أن الإباضية شرذمـة قليلون. وهم دون فرق البـاطنية ونحـوها شراً وخطراً وانحرافاً، لكن الذي دفعني إلى كتابة هذه المقالة الموجزة عن تلك الفـرقـة هو ما نلمسه في الآونة الأخيرة من نشاط هذه الفرقة، والسعي من أبنائها في طبع كتب الإباضية، وإخراجها وتحقيقها، ثم توزيعهـا ونشرها[1]، وأمر آخر جعلني اهتم بهم وهو دعوى علماء الإباضية أنهم ليسوا من الخوارج، واتهامهم لكتاب الفرق والمقالات بالتحامل عليهم، كما أنهم ـ بطبيعة الحال ـ يبجلون مذهبهم، ويكيلون صنوفاً من المدح الطويل والثناء الحسن على

---

(١) قامت وزارة التراث القومي والثقافة بعُمان بطبع مجموعة ضخمـة من كتب الإباضية مع تحقيقها ونشرها.

مذهبهم[٢]، وفي نفس الـوقت يلمـزون المـذاهب الأخـرى (مذاهب أهل السنة»[٣]، ويطالبون بكل صلف وتبجح ـ مباهلة أهل السنة، كما فعل «خليلهم» عندما طلب من سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز المباهلة، فامتنع سماحته، لما في المناظرة المعلنة من إيقاع بعض الناس في شكوك وشبهات، كما أن وقوع المناظرة ـ بحد ذاته ـ يعطي هالة لفرقة الإباضية، ويضفي عليها مزيداً

---

(٢) كما فعل مفتي عُمان «الخليلي» عندما وصف أتباع مذهبهم بأنهم أهل الحق والاستقـامة ومدحهم بسلامة مصدرهم (!) وأنهم اهل مرونة وتسـامح (لدرجة أنهم قالوا بتخليد العاصي في جهنم!!!) وذكر أن الإباضية يجتهدون في لم شعث الأمة (وهم خوارج. . يسعون لتفريق الأمـة وتمـزيقهـا كما فعله أسلافهم من الخروج على الأئمة وإشعال الثورات) (انظر كتاب الحق الدامغ للخليلي ص ١٠ ـ ١٥) كما نجد أحد شيوخهم المعاصرين سالم السمائلي يتشدق بأن المذهب الإباضي أول المـذاهب، وبكثرة علمائهم، واعتدال مذهبهم وقربه من عهد النبوة/ انظر كتاب إزالة الوعثاء على أتباع أبي الشعثاء للسمائلي ص ٦٣. .

(٣) ومثاله ما زعمه الخليلي بأن اتباع الأئمة الأربعة يكفر بعضهم بعضاً بخلاف الإباضية (رمتني بدائها وانسلت). انظر كتابه الحق الدامغ ص ١٢.

من الشهرة والظهور، وهم ـ بلا شك ـ دون ذلك[٤][٥].

٢ ـ من الإباضية؟

وسيكون حديثي عن هذه الفرقة منصباً على جانبين مهمين، فأولهما بيان مصدر التلقي عند الإباضية، والآخر في ذكر القواسم المشتركة التي تجمع بين الخوارج وبين الإباضية، وقبل ذلك كله أذكر تعريفاً موجزاً عن فرق الإباضية، فهم أصحاب عبدالله بن إباض التميمي الذي خرج في أيام مروان بن محمد في أواخر دولة بني أمية، وبعضهم يقول: كان عبدالله بن إياض مع نافع بن الأزرق، ثم انشق عنه لتشدد نافع مع مخالفيه، حيث كان ابن إباض لا يرى إلا استحلال دم مخالفيه دون أموالهم، وتدعي

---

(٤) وقد ذكر ذلك الشيخ د. صالح الفوزان في رسالة له بعنوان «الرد على السيابي» حيث انتصر الفوزان للحق، كما دافع عن الشيخ ابن باز أمام تعصب وتعنت السيابي الـذي كتب رداً على فتوى ابن باز في حكم الصلاة خلف من ينفي رؤية المؤمنين لربهم يوم القيامة.

(٥) أخبرني أحد الثقات أن واحداً من طلبة العلم المغمورين من أبناء أهل السنـة، قد ناقش هذا المفتي الخليلي في بعض مسـائـل الاعتقـاد، وأدحض شبهاته، وأظهر الحق أمامه حتى بهت.

الإباضية ارتباطها بجابر بن زيد ـ أحد التابعين ـ مع أنه قد تبرأ منهم[٦].

والإباضية فرق متعددة فمنهم الحفصية واليزيدية، والحارثية، وغيرها، وأشد هذه الفرق انحرافاً طائفة اليزيدية، وإمامهم يزيد بن أنيسة زعم أن الله سيبعث رسولاً من العجم، وينزل عليه كتابًا من السماء، ومن ثم ترك شريعة محمد، ﷺ، وقد تبرأ أكثر الإباضية من هذه الفرقة، ومنهم من توقف فيها[٧].

٣ ـ مصدر التلقي عندهم:

وإذا أردنا أن نتحدث عن مصدر التلقي عندهم، فإن لمسند الربيع بن حبيب مكانة عظيمة في قلوبهم، فهو مصدر التلقي عندهم بعد القرآن، حيث إنه أصح كتاب عندهم بعد القرآن. ومؤلفه الربيع بن حبيب البصري، وقد اعتنوا بهذا المسند فشُرح عدة شروح، كما رُتب على الأبواب الفقهية، فجاء في أربعة أجزاء صغيرة ضمن مجلد واحد، ويفتقد هذا المسند «المنحول» للربيع لمقدمة توضح تراجم رواته، وتوثيق نسبته للربيع، بينما تفخر الإباضية

---

(٦) انظر تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر ٢/٣٨.

(٧) للمزيد من معرفة الإباضية: انظر مقالات الإسلاميين ١/١٦٧، الملل والنحل ١/١٣٤، ودراسة عن الفرق لأحمد جلي وغيرها كثير.

بأن هذا المسند يعود إلى أبي الشعثاء جابر بن زيد والذي تبرأ منهم ـ كما سبق ذكره.

كما أن هذا المسند مليء بأخبار منقطعة، وأحاديث لا خطام لها ولا زمام وأخبار موضوعة(٨)، ومأخذ ثالث وهو أن هذا المسند يعج بالمخالفات والمزالق العقدية المتنوعة ومنها ما يلي:

أ ـ تعطيل الصفات الألهية ونسبة هذا التعطيل إلى صحابة الرسول ﷺ، ومن ذلك ما جاء في مسندهم من الزعم بأن الله في كل مكان، ونسبة ذلك لعمر ونفي رؤية الله في اليوم

---

(٨) ومن هذه الأخبار الموضوعة والموجودة في هذا المسند ج١ / ص ١٣، ما نسبوه إلى رسول الله ﷺ من قوله: «إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقه فعنّي وما خالفه فليس عنّي، وهذا موضوع مختلق على النبي ﷺ كما بين ذلك أئمة الحديث وصيارفته، كما أن القرآن يكذب هذا الحديث ويرده، كما قال سبحانه: ﴿وما أتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا﴾ انظر كشف الخفاء ١ / ٨٩، ولعل هذا الخبر الموضوع يؤكد وقوع الخوارج في وضع الأحاديث. . وإن كانوا أقل كذباً من غيرهم كالرافضة ونحوهم وكما روى الخطيب البغدادي في «الكفاية بسنده» عن شيخ من الخوارج وهو يقول: إن هذه الأحاديث دين فانظروا عمن تأخذون دينكم فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً. (انظر الكفاية ص ١٦٣).

الآخـر ونسبتـه لابن عباس، ونفي اليد وتأويلها بالقدرة، ونفي الاستواء على العرش، ونفي العين والنفس، وغيرها من الصفات[9].

ب ـ تعطيل السنة النبوية احتجاجاً بحديث جاء في مسند الربيع «إنكم ستختلفون من بعدي فما جاءكم عني فاعرضوه على كتاب الله فما وافقـه فعنيّ وماخالفه فليس عني» وهو حديث كذب موضوع.

ج ـ نفي المسح على الخفين وانكاره[10].

ويتضمن المسنـد شيئـاً من التـأويلات المتعسفـة، ولعلهم يستـدلون بحديث رووه في مسندهم مرفوعًا «مامن كلمة إلا ولها وجهـان فاحملوا الكـلام على أحسن الـوجـوه[11]»، فمن تلك التأويلات المتكلفة قول أبي عبيدة ـ أحد شيوخ الربيع ـ عن معنى حديث «من يحمل السلاح فليس منا»: يريد من حمله إلى أرض العدو[12].

---

(9) انظر المسند المذكور ٣/ ٢٣ ـ ٣٧.

(10) انظر المسند المذكور ١/ ٢٧.

(11) انظر المسند المذكور ٣/ ٤٠.

(12) انظر المسند المذكور ٢/ ٢٠.

وقد انعكست هذه المزالق على الإباضية فتجدهم يحتجون بأخبار موضوعة، ويجهلون الأحاديث الصحيحة، ويمتطون التأويل المتعسف، فيحرفون الكلم عن مواضع، واذكر على ذلك مثالاً لأحد شيوخهم المعاصرين في عُمان وهو سالم بن حمود السمائلي فتجده يحتج بحديث «خذو شطر دينكم عن هذه الحميراء»(١٣) وهو كذب مختلق كما بيّن ذلك ابن القيم رحمه الله في «المنار المنيف».

وانظر إلى جهله ـ أو تجاهله ـ بالأحاديث الصحيحة التي تخالف مذهبه وكيف يتأولها تأويلاً بعيداً غير سائغ، فيقول السمائلي: «وحديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وسرق ـ على فرض صحته ـ وإن زنى وإن سرق ثم تاب، فالزنى والسرقة لا يمنعان من دخول الجنة للتائب، فإن التائب من الذنب كما لا ذنب له(١٤).

أرأيت أخي القاريء ما يفعله الشيخ العلامة الجليل الفقيه: سالم ـ كما جاء على غلاف كتابه!! مع أن حديث من قال لا إله إلا الله دخل الجنة وإن زنى وإن سرق أخرجه الشيخان:

---

(١٣) انظر كتابه إزالة الوعثاء ص ٦٣.

(١٤) انظر كتابه أصدق المناهج في تمييز الإباضية عن الخوارج ص ٣٤.

البخاري ومسلم(١٥)، وانظر إلى كثافة فهمه وفساد كلامه.

ويتفنن الفقيه سالم في ذكر أنواع من التأويل الفاسد عند إيراد أحاديث مذهبه، فمن ذلك قوله عن حديث «يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من ايمان» أي لا يدخلها أبداً(١٦).

وقوله عن حديث: «من مات لا يُشرك بالله شيئا دخل الجنة، إذا مات غير مقترف لإثم دخل الجنة(١٧).

وليس التأويل الفاسد وقفاً على هذا الشيخ، بل نجد أن الكثير من الإباضية إذا أعيتهم النصوص وأشرقت عليهم بأنوارها، شهروا أمامها ذاك التأويل المظلم(١٨).

ورحم الله ابن أبي العز الحنفي عندما يقول عن هذا التاويل: وهذا الذي أفسد علينا الدنيا والدين، وهكذا فعلت اليهود والنصارى في التوراة والإنجيل، وحذرنا الله أن نفعل مثلهم،

---

(١٥) انظر ماذكره ابن رجب عن معنى هذا الحديث وما في معناه في رسالة «كلمة الإخلاص».

(١٦)(١٧) انظر كتابه أصدق المناهج ص ٣٥، ٣٦.

(١٨) انظر إلى ما جاء في كتاب بداية الإمداد على غاية المراد لسليمان الكندي الإباضي حيث أوّل الميزان بالعدل ص ٥٧، وكذا أول الصراط ص ٥٨ وغير ذلك.

وأبىٰ المبطلون إلا سلوك سبيلهم، وكم جنى التأويل الفاسد على الدين وأهله من جناية، فهل قتل عثمان رضى الله عنه إلا بالتأويل الفاسد! وكذا ما جرى في يوم الجمل، وصفين، ومقتل الحسين (رضي الله عنه) والحَرَّة؟ وهل خرجت الخوارج واعتزلت المعتزلة. ورفضت الروافض وافترقت الأمة على ثلاث وسبعين فرقة إلا بالتأويل الفاسد؟ (شرح الطحاوية ١/٩ ـ ٢).

وما دمنا نتحدث عن مصدر التلقي عندهم، فاعلم ـ أخي القاريء ـ أن الإباضية ـ تأثرًا بالمسلك الكلامى ـ لا يقبلون خبر الآحاد في أبواب الاعتقاد.

٤ ـ هل الإباضية من الخوارج؟

والآن أسرد لك ـ أخي القاريء ـ القواسم المشتركة والأمور المتفق عليها بين الخوارج وبين الإباضية، وسيظهر لك تلقائياً الجواب عن هذا السؤال: هل الإباضية من الخوارج أم لا؟

نجد ـ ابتداءً ـ أن عبدالله بن إباض يعتبر نفسه امتداداً للمحكمة الأولى كما في الرسالة التي بعثها إلى عبدالملك بن مروان.

كما يظهر من خلال عقائد الإباضية التشابه الكبير بينهم وبين أسلافهم من الخوارج، فمثلاً في التوحيد نجد الإباضية تقول

بخلق القرآن كما جاء في كتبهم قديماً وحديثاً[19]، وقد وافقوا الخوارج في ذلك، يقول الأشعري: «والخوارج جميعاً يقولون بخلق القرآن» مقالات الإسلاميين ١/٢٠٣، ويظهر من خلال كتبهم تعطيل الصفات مثل انكار رؤية الله في اليوم الآخر، وتعطيل الصفات عموماً[20].

مثل الاستواء واليد وغيرها، والخوارج يغلب عليهم التعطيل في الصفات تأثراً بالمعتزلة، يقول الأشعري «فأما التوحيد فإن قول الخوارج فيه كقول المعتزلة» مقالات الإسلاميين ١/٢٠٣).

وأما في مسألة الأسماء والأحكام فان الإباضية تقول بتخليد العاصي في نار جهنم، وهي بذلك تتفق مع بقية الخوارج والمعتزلة في تخليد العصاة في جهنم، لكن الإباضية تحكم عليه في الدنيا بأنه كافر كفر نعمة ـ أو كفر نفاق[21].

---

(١٩) ممن قال بخلق القرآن من الإباضية المعاصرين: سليمان الكندي في كتابة بداية الإمداد ص ٧٢، والخليلي في الحق الدامغ ص ٩٧ ـ ١٨٣.

(٢٠) انظر أصدق المناهج ص ٢٧، ومشارق أنوار العقول للسالمي ١/٣٦٢، إزالة الوعثاء ص ٦ والحق والدامغ ص ٢٣/٩٥.

(٢١) انظر إلى أقوالهم في تخليد مرتكب الكبيرة: الموجز لأبي عمار عبدالكافي الإباضي ٢/١١٧، ومشارق أنوار العقول ٢/١٤٣، وبداية الإمداد

ومن الأمور التي يتفقون عليها انكار الشفاعة لعصاة الموحدين، لأن العصاة مخلدون في النار، فلا شفاعة لهم حتى يخرجوا من النار[22]، وكل ذلك معارضة لما تواتر من الشفاعة لأهل الكبائر حيث قال رسول الله ﷺ: «**شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي**» رواه الترمذي والبيهقي عن أنس مرفوعاً، وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم والبيهقي.

كما نجد الإباضية يجوزون الخروج على أئمة الجور، ويتهجم بعضهم على معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه، وعمرو بن العاص رضي الله عنه، وينكر بعضهم شرط القرشية في الإمام، وكل هذه الأمور قد قال بها أسلافهم من الخوارج، بل انهم يدافعون عن أسلافهم، فينتصرون للخوارج أيام النهروان[24].

ص ٦١، وسمر أسرة مسلمة لعلي يحي معمر ص ٥٨، والحق الدامغ ص ١٨٣ ـ ٢٢٨، وأصدق المناهج ص ٢٧.

(٢٢) ممن أنكر الشفاعة للعصاة السالمي في كتابه: مشارق أنوار العقول ٢/١٣٢، والكندي في بداية الإمداد ص ٦٥، والسمائلي في أصدق المناهج ص ٢٧.

(٢٣) انظر كتاب مشارق أنوار العقول ٢/١٣٢.

(٢٤) انظر أصدق المناهج ص ٢٨، ٤٠، ٤٣، ٤٦، وبداية الامداد ص ١٦١.

نصيحة للطائفة الإباضية:

وفي آخـر هذه المقالة أدعو كل طالب حق من أبناء الطائفة الإباضية بأن يتجرد في طلب الحق بدليله، وأن نتلقى ديننا من كتاب ربنا عز وجل، وسنة نبينا محمد ﷺ، وذلك على حسب منهـج السلف الصالح وفهم الصحابة رضي الله عنهم، وعلينا جميعاً ان نتخلى من ربقة التقليد للآباء والتعصب لآراء الرجال، وأن تنشرح صدورنـا لما جاء في الـوحيين، أسـأل الله عزّ وجل بأسمائه الحسنى وصفاته العلى أن يُصلح أحوال المسلمين، وأن يهدي ضالهم ويثبت مطيعهم، والله أعلم وصـلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.